38 - ـ فصل : لا تجزع إذا تأخرت إجابة الدعاء .

رأيت من البلاء أن المؤمن يدعو فلا يجاب فيكرر الدعاء و تطول المدة و لا يرى أثرا للإجابة فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر .

و ما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب و لقد عرض لي من هذا الجنس فإنه نزلت بي نازلة فدعوت فلم أر الإجابة فأخذ إبليس يجول في حلبات كيده .

فتارة يقول : الكلام واسع و البخل معدوم فما فائدة تأخير الجواب ؟ .

فقلت له : إخسأ يا لعين فما أحتاج إلى تقاضي و لا أرضاك وكيلا .

ثم عدت إلى نفسي فقلت : إياك و مساكنة وسوسته فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك المقدر في محاربة العدو لكفي في الحكمة .

قالت : فسلني عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة .

فقلت : قد ثبت بالبرهان أن ا D مالك و للمالك التصرف بالمنع والعطاء فلا وجه الاعتراض عليه .

و الثاني : أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة فربما رأيت الشيء مصلحة و الحكمة لا تقتضيه و قد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة فلعل هذا من ذاك .

و الثالث : أنه قد يكون التأخير مصلحة و الاستعجال مضرة و قد قال النبي صلى ا عليه و سلم : لا يزال العبد في خير ما لم يستعجل يقول دعوت فلم يستجب لي .

الرابع : أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك فربما يكون في مأكولك شبهة أو قلبك وقت الدعاء في غفلة أو تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه .

فابحثي عن بعض هذه الأسباب لعلك تقفي بالمقصود كما روى عن أبي يزيد Bه : أنه نزل بعض الأعاجم في داره فجاء فرأه فوقف بباب الدار و أمر بعض أصحابه فدخل فقلع طينا جديدا قد طينه فقام الأعجمي و خرج فسئل أبو يزيد عن ذلك فقال : [ هذا الطين من وجه شبهة فلما زالت الشبهة زال صاحبها ] .

و عن إبراهيم الخواص C عليه أنه خرج لإنكار منكر فنبحه كلب له فمنعه أن يمضي فعاد ودخل المسجد و صلى ثم خرج فسئل فبصبص الكلب له فمضى و أنكر فزال المنكر .

فسئل عن تلك الحال فقال : [ كان عندي منكر فمنعني الكلب فلما عدت تبت من ذلك فكان ما رأيتم ] .

و الخامس : أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب فربما كان في حصوله زيادة إثم أو تأخير عن مرتبة خير فكان المنع أصلح .

و قد روي عن بعض السلف أنه كان يسأل ا الغزو فهتف به هاتف : [ إنك إن غزوت أسرت و إن أسرت تنصرت ] .

و السادس : أنه ربما كان فقد ما فقدته سببا للوقوف على الباب و اللجأ و حصوله سببا للاشتغال به عن المسؤول .

و هذا الظاهر بدليل أنه لولا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجأ .

فالحق D من الخلق اشتغالهم بالبر عنه فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه يستغيسون به فهذا من النعم في طي البلاء .

و إنما البلاء المحض ما يشغلك عنه فأما ما يقيمك بين يديه ففيه جمالك .

و قد حكي عن يحي البكاء أنه رأى ربه D في المنام فقال : [ يارب كم أدعوك و لا تجيبني ] ؟ فقال : [ يا يحي إني أحب أن أسمع صوتك ] .

و إذا تدبرت هذه الأشياء تشاغلت بما هو أنفع لك من حصول ما فاتك من رفع خلل أو اعتزار من زلل أو وقوف على الباب إلى رب الأرباب